كلام الناس

كيف تعطي الحياة اكثر مما تأخذ منها؟

صديقي (م) كان يعتقد دائما بانه شخص ذو حظ كبير. لم تخيب ظروف الحياة امله كثيرا فيما كان يعتقده. هديته الجديدة من اخيه الاكبر كانت عبارة عن سيارة جديدة بمناسبة نجاحه في الجامعة واستلامه لمنصبه الجديد في شركة العائلة العريقة. خرج في ذلك الصباح الجميل من المكتب قاصدا بيته، فشاهد صبيا بملابس رثة يدور حول سيارته يتفحصها باعجاب شديد، وما ان راه حتى بادره بالسؤال عما اذا كانت السيارة ملكه. فقال له صديقي بأنها هدية من اخيه الاكبر. فغر الصبي الصغير فاه مندهشا وسأله: اتعني انك لم تتكلف فلسا واحدا في شرائها؟ آه كم أتمنى...!! ولم يكمل كلامه. واعتقد صديقي بانه عرف بان الصبي كان يتمنى لو كان هو في مكانه، ولكن ولدهشته الكبيرة كان مخطئا وذلك عندما اكمل الصبي كلامه بالقول بانه كان يتمنى لو كان هو مثل اخيه! نظر صديقي للصبي متعجبا من كلامه وبتلقائية غريبة عرض عليه ان يأخذه معه في السيارة في جولة قصيرة. لم يستطع الصبي اخفاء سعادته وهو يقبل عرضه. قبل انتهاء الجولة التفت الصبي الى صديقي وقال له وعيناه تشعان ببريق غريب: هل تستطيع ان تأخذني الى امام بيتي؟ ابتسم صديقي وهز رأسه موافقا وخاطب نفسه: انني اعرف هذه المرة ما تود الوصول اليه ايها الصبي، انك تود ان تتباهى امام الجيران بركوب سيارتي الجديدة الفخمة. اخطأ صديقي مرة اخرى في حق الصبي.قام بايقاف السيارة امام عتبة المنزل بالضبط كما طلب منه الصبي الذي ما ان توقفت السيارة حتى فتح بابها وهرول الى داخل البيت بخطوات سريعة بعد ان ترك باب السيارة مفتوحا وكأنه يطلب منه الانتظار قليلا. عودته لم تكن بقدر سرعته بالذهاب حيث عاد وهو يحمل اخاه «المقعد» على يديه وهو يشير الى السيارة ويقول لأخيه: هذه هي السيارة التي اخبرتك عنها بالداخل، لقد اهداه اياها اخوه الاكبر ولم يدفع فيها فلسا واحدا، ويوما ما سأشتري لك واحدة مثلها!!!

طرق صديقي باب المنزل واستأذن من والدة الصبيين في اصطحابهما بجولة بالسيارة، وفي ذلك اليوم ومن خلال بريق السعادة والامل اللذين كانا يشعان من عيونهما الصغيرة تعلم صديقي درسا في الحياة، وكيف ان بالامكان، ومن خلال امور بسيطة كهذه، ان نعطي الحياة اكثر مما نأخذ منها، وكم هو جميل ان نكون، وبأكبر قدر، في الجانب المانح للحب والمال والحنان والعطف. نقول قولنا هذا فهل من متعظ؟

احمد الصراف